المحور الأول: الأجناس الشعرية

المحاضرة الثالثة: الشعر الغنائي

تمهيد

الأدب كائن حي يتطور بتطور الإنسان وشتى أحواله الفردية والاجتماعية. وهو تعبير فني عن الحياة، تختلف صوره وأساليبه باختلاف الحاجات الأدائية. وهذه الصورة المختلفة رتب تودَع القوى الانسانية، وتسمى لذلك فنونا أدائية، وهي أقنية وضعها الإنسان لينقل بها عالمه الباطني إلى عالم الناس، وذلك ضمن نطاق نظام خاص ووفاقا لنواميس، اتضحت معالمها شيئا فشيئا. وكلمة أدب كما يذهب الناقد شوقي ضيف تندرج تحتها كثير من صور التعبير كالقصيدة والقصة والمسرحية والمقالة وما أشبه. وهذه الصور المختلفة من التعبير تكوّن ما يسمى بالأنواع الأدبية. فالنوع الأدبي صورة خاصة من صور التعبير لها بواعثها وأصولها وخصائصها ومجالها. فإذا نحن أردنا معرفة سبب تنوع التعبير الأدبي في الأنواع المختلفة كان علينا دراسة البواعث الحيوية التي اقتضت ذلك. ويعتقد هدسن(Hudson) أنه من الممكن تصنيف الحوافز الكامنة وراء الأدب في مجموعات تصنيفا فيه من الدقة مايلزم الأغراض العلمية تحت أربعة أغراض هي:[1]

. رغبتنا في التعبير الذاتي

. اهتمامنا بالناس

. اهتمامنا بعالم الواقع وبعالم الخيال الذي ننقله إلى الوجود

. حبنا للصور من حيث هي صور.

والأجناس الأدبية قسمان: الأجناس الأدبية الشعرية: وتعود إلى النوع الغنائي والملحمي والتمثيلي وهي المصدر الأول للأدب، والأجناس النثرية. وهذا التقسيم إلى شعر ونثر يندرج تحته تقسيم فرعي لكل قسم فليس الشعر كله نوع واحد، وكذلك النثر بل هناك أنواع شعرية وأنواع نثرية. وفي استعراضه لبعض التصنيفات الشهيرة يذهب تودوروف(Todorov) في حديثه عن التصنيف الثنائي: شعر نثر" هذا التعارض الشهير، قليل الوضوح مع ذلك، بل يوجد بعض الابهام فيما يخص كلمة نثر إنه يدل على النثر الأدبي، كما يدل على ما ليس أدبا. وإذا احتفظنا بالمعنى الأول، لأن الثاني يحيل على تصنيفية وظيفية لا بنيوية، فإننا سنتبين أن المعنى قد وضع في هذا التعارض[2]

1. الأجناس الشعرية

الشعر من أقدم الفنون الأدبية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية على اختلاف مراحلها. والتي هي عبارة عن أشكال أدبية أو قوالب ارتضاها الشعراء وسيلة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم. والشعر هو كل الأدب الذي عرفته الأمم القديمة كملحمة جلجامش السومرية وإلياذة هوميروس الإغريقية وملحمة فرجيل اللاتينية وفردوس ملتن المفقود ومعلقات العرب في العصر الجاهلي والكوميديا الإلهية لدانتي وقديما أورد أفلاطون في كتابه الجمهورية على لسان سقراط: أن الشعر يقع في ثلاثة صنوف للتعبير عن العمل الفني هي[3]:

. سرد خالص يتكلم الشاعر فيه بصوته

. سرد بالمحاكاة، يتكلم فيه واحدا أو أكثر تشخيصا في العمل الفني.

. صنف هو مزيج بين الاثنين

ويمثل أفلاطون للصنف الأول من الشعر بما يسميه(ديثيرامب) أي القصيدة التي ينشدها الشاعر بمصاحبة آلة موسيقية هي القيثارة (Lyre). وهذا أول جنس أدبي شعري حدده النقد الأوربي والذي عرف لاحقا باسم الشعر الغنائي، وقد طلق عليه كتاب الدراسات النقدية العرب الشعر الوجداني[4] في حين حدد أرسطو ثلاثة أجناس شعرية رئيسة نجمت عن الشعر هي الشعر الغنائي والدرامي والملحمي[5]، كما حدد الخصائص المميزة لكل نوع ، وعدت تلك الخصائص بمنزلة قوانين تشريعية، يجب مراعاتها والالتزام بها عند كثير من النقاد الذين ألحوا على ضرورة الفصل بين الأجناس الأدبية وعدم السماح لها بالامتزاج، فهي كائنات فعلية ذات استقلال تام عن بعضها..[4] وأفضى هذا التقسيم إلى هيمنة فكرة نقاء النوع الأدبي ردحا من الزمن إلى أن جاءت الرومانسية. فبدت الأجناس الأدبية معها وكأنها جوهرا زائدا، ينضاف إليها نصوص كتبت خارج الإطار الأجناسي (كقصيدة النثر على سبيل التمثيل). تعبر عن تطور الأدب فالأدب كما يقول ويليك متطور وما الأجناس الأدبية سوى "ضرورات نظامية، تلزم الكاتب من جهة وكذلك يلزمها الكاتب بدوره"[6]

والشعر عند العرب صناعة، كما يقول الجاحظ، ولما اشتد عود النثر أخرج أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين* أي صناعة الشعر وصناعة النثر، وظهرت في النثر فنون كما كانت في الشعر أغراض

1. 1 الشعر الغنائي

ويقصد به الشعر الذاتي الذي يعبر فيه الشاعر عن تجاربه الشخصية، ويصف فيه اختلاجات مشاعره وعواطفه ونزعات قلبه وخلاصة رؤاه وأفكاره وتصوراته للحياة والكون. ويعد الشعر الغنائي أقدم أنواع

الشعر، وقد سماه قدامى اليونانيين: شعرا غنائيا لأنّه كان يغنى به أصلا على أصوات الآلات الموسيقية، ويستعان به على الرقص، وبذلك عدّ لديهم شعر العاطفة والغناء، ومع مرور الزمن اتّسع مدلوله فأصبح يعبر عن التجربة الذاتية أيا كانت، في غير ما نظر إلى غناء أو حركة منتظمة...

ويصف (بلنسكي) الشعر الغنائي أو الوجداني بأنه "إبداع ذاتي داخلي التعبير عن المشاعر"[7] لكنه في العصر الحديث تحول إلى التعبير أيضا عن وجدان الأمم والشعوب وهواجسها.

وتحسن الإشارة في هذا الصدد إلى أن أفلاطون قد فضل الشعر الغنائي لما ينطوي عليه من غايات خلقية نبيلة تتجلى في التغني بالبطولة، وبالمقابل اعتبر أرسطو جوهر الشعر المحاكاة ولم يقم للشعر الغنائي وزنا لأنه أثر الوعي الفردي، ثم لأنه خال من مقومات الفن ذي الأغراض الاجتماعية، وهو الفن الحق كما يراه أرسطو، لذا نجد لم يدخل الشعر الغنائي في قضاياه الأدبية.[7] ويعتبر الشعر الملحمي أهم الأجناس الشعرية لديه ويحظى باهتمامه، لأنه مصدر الشعر الدرامي الإغريقي، وهذا مانقف عليه في أحاديثه عن هوميروس الذي يعده رائد الشعر الملحمي

1. 2 أنواع الشعر الغنائي

برزت على مر التاريخ أنواع مختلفة من الشعر الغنائي تناقلتها كتب الأدب الأوربية، كالأود والسونيت

وظهر نوع من الشعر الغنائي في أواخر القرن الثاني عشر في الإقليم الجنوبي لفرنسا (إقليم بربنس) ، وجاء بلغة انسلخت عن اللاتينية وبجنس من الشعر الغنائي يختلف عن (ديثيررامب) الإغريقي وعن شعر (أوفيد) وغيره من الشعراء اللاتين، وبشكل تميز بظهور القافية التي لم تكن معروفة في الشعر الكلاسيكي وبموقف من الحب المرآة جديد على المعروف في التراث [8]

وفي الأدب العربي انصرف الشعراء إلى هذا النوع الشعري انصرافا يكاد يكون كاملا. وكان الشعر الغنائي الميدان الفسيح الذي نظم فيه الشاعر العربي منذ العصر الجاهلي ومن أنواعه: الرثاء الفخر والغزل والمدح والهجاء والزهد والتصوف... وتعود حالة التشعب والتنوع هذه إلى تشعب المعاناة الإنسانية التي يتم التعبير عنها، ولكن هذا التشعب يجعل تقسيم الأدب الغنائي إلى ألوان محددة أمر غير ممكن كما يذهب الناقد عزيز ماضي، بل إنه من الصعوبة بمكان. وإذا كان اليونان قديما قد حددوا الصيغ الغنائية وضبطوها في ألوان، فإن الأمر يختلف عندما نتحدث عن الشعر العربي، فالتقسيم كما يذهب الناقد لم يعد يصلح للأدب الغنائي المعاصر. وتقسيم الأدب الغنائي إلى موضوعات وأغراض قد لا يكون شاملا وناجحا، ويتساءل ماذا نقول عن الشعر الصوفي وأين نصنف الغزل الصوفي؟[9] **(يتبع)**